

إلى شباب الفصحين

## كيف احترفت القصة

فداء المستر فرائدك سونبرن

للاستاذ احمد فتحي

إن ثلاثين عاماً قد تصرمت بعد إخراج قصتي الأولى سنة ١٩٠٩ . لذلك فإن أعتراف من عدم تذكوري ، في القليل من محتوياتها

كنت في ذلك الحين أعمل في بعض مكاتب النشر ، أراجع « البرقيات » ، وأحرر بعض الرسائل إلى المؤلفين ورجال الطباعة لقاء خمسة وثلاثين شلنك في الأسبوع

وكان من عاداتي أن أتناول وجبات طعامي في بعض مشارب الشاي ، أو في مطعم رخيص في « سانت مارتن لين » يقال له مطعم « سانت جورج » . وبعد أن أفرغ من عشائي نتشعب في المسالك ، فإما أن أذهب إلى ماله للتعميل ، أو أمضي إلى حيث أسمع محاضرة واحد من الأعلام ، وأوجه إلى بيتي لأكتب بعض الخواطر على منضدة تحيط عليها أرى للثياب ، ويرسم عليها أرى بعض الصور لبعض المجلات التي تصدر من أجل الناشئة ، ولم تكن آتالي معلقة باحتراف القلم بل كان من ودي لو أغدو صحافياً لا قصصياً . غير أني كتبت قصة طويلة كاملة وأنا في الائمة عشرة ، ثم أحرقتها ، وأبعتها بأخرى وأنا ابن عشرين ولكنها كانت قصيرة جداً ، وكان اسمها « الطريق الحق » عرضتها على ستة من رجال النشر قبل إحراقها . غير أن واحداً من هؤلاء الناشرين جيداً لم يرفضها بطريقة تبهت على اليأس ، بل أداوها لي مصحوبة بكلمات التشجيع ، وبعد تجربة أخرى ، كتبت قصتي الأولى الناجحة « القلب السعيد »

وكانت قصة « القلب السعيد » على ما ذكرته من طائفة من الشخصيات ، منها البطل ، وهو شاب صريح موفق في مثل سني

وشقيقته ، وصديق له ، وحبيبته ، وأمه ، وأبوه الذي كان يشي حقيقة حاله غموض كثير . . . كما كان من الشخصيات الملحوظة كذلك فناة خادم في مشرب ، ورجل آخر غير موفق إلى خير

لم تكن لي شقيقة ، ولا أب ، ولم أكن أعرف - في ذلك الحين - مثل تلك الفتاة اللادام في مشرب الشاي ، ولا مثل ذلك الرجل الذي يحظته التوفيق على الدوام ، وأما الأم فقد كانت تختلف تماماً عن أمي ، التي كانت أقل النساء إيثارة نفسها ، وأملهن حظوة بالسادة ، وهكذا لم يكن في القصة من شيء قد استوحيت به الدائمة المائلة سوى البطل الشاب الراح الموفق . وكذلك لا تعمد الحياة وجود أمثاله على الدوام

كان هذا الشاب أجنبياً عن البلاد ، يشغل في وكالة لبعض الأعمال الخارجية ، وقد عرفته من طريق أخي الذي كان صديقاً له ، وكان يمول أخته ، ويجهد أن يمين حبيبته على أمور حياتها . وقد حدث أن خرج وإياها في نزهة ، وانتهى بهما اللطاف إلى مشرب للشاي ، حيث اتفق أن رأته يقبل الفتاة خادم المشرب . ولقد جرت على هذه الأزيمة الأخيرة - في القصة - تعنيف صديقة كانت على وشك الزواج ، إذ ساءها أن بطل قصتي لم يكن على شيء من متانة الخلق ولا الثبات على حب واحد

ولست أدري ماذا حدث لقصتي بعد ذلك من حيث تسجيل الحوادث ولا أظنها كانت متأثرة بواحد من كتاب السلف ، عدا « لوزيا آل كوت » التي كنت قد قرأت له أقاصيص متتابعة منذ عام ١٨٩٤

وحيث ألتذت إلى الراء ثلاثين عاماً ، يبدو لي أن « ولف « القلب السعيد » رجل آخر لا يحمل اسمي ولا يمت إلى بسبب . وإن صورته الشمسية لتتعلق بأنه كان ذا رأس مستطيل ، غزير الشعر ، وأنه كان بارز عظمي الوجنة ، قصير النظر رغم بريق عينيه ، كما أنه لم يكن من النوع الذي تسهل قراءة عواطفه وخلقه من صورته ومظهره الخارجي ، سوى ما كان يبدو عليه من إمارات المد والوقار ، التي يتميز بها علماء الشباب ، ولكنه - إذا صدقت

ذاكرتي — لم يكن على شيء من الجد ولا الوفاق كما أنه لم يكن من العلماء بحال !

\*\*\*

كُتبت « القلب السعيد » في الأمسية وأيام العطلات الأسبوعية ، خلال أربعة شهور أو خمسة ، وكما صنع « شيكسبير » في قصته « بن جونسون » لم أكن أعتمد إلى تجفيف سطر واحد ، وكما أن فرصة النشر لم تكن حينذاك أكثر من وهم يتأرجح ويضطرب في ذهني ؛ كذلك كانت هذه الفترة من الزمن أنها أيام حياتي ... فقد كان من الفكاهة المستلحة أن أخترع أناساً لا أهرقهم ، وأروي عنهم قصة فتنة فاضة الفصول ، ثم أعتمد إلى تسجيل الاختراع والحديث في سطور ؛ ولقد سمعت بعد ذلك أنني طالما ضحككت في كتاباتي ضحكاً طليقاً ؛ ولكني كنت أضحك من غير أن أعني ... ومن المحقق على أي حال أن كتابتي على تلك الحال لم تكن منجاة لي من الجلود أو الاستخذاء ؛ لأن الكاتب كلما كان مرحاً ، وكلما كان له أسفاؤه وملاهي حياته ، وكلما كان مستمتعاً بحساسن أيامه إلى غير حد — كان غير ذي حاجة إلى إجهاد خياله لانتقال المفاجآت والحوادث . على أن تفكيري كان حاداً بالنأ كيد ، ولكنه لم يكن علمياً منظماً . وكان تكويني جمدى مثيباً . غير أن سلسلة من الأمراض اللوهنة قد تركتني سقيم الجسد هزيباً ، غير قادر على مباشرة الألعاب الرياضية ، وكل حظي منها لم يكن — فيما سلف — أكثر من البث بكرة صغيرة في شوارع « لندن » الليلية ؛ غير أنني كنت كثيراً ما أتروض بالسير على القدمين ، كما كنت أطلع في سمة ، وأفكر في إيقان ، وأعشى مدينة « لندن » ورينها بين رفقة يفتوناني خيرة بالحياة ، كما كنت قليل الحفل بالمستقبل !

\*\*\*

أستطيع أن أقرر أنني لم أؤرخ في كتابة « القلب السعيد » نهجاً خاصاً أدبياً به في الحياة الواقعة نفسها . كانت تروق لي نظرية « الاشتراكية » بيد أنني لم أكن أتحمس لها تحمساً فلياً . ولقد كنت في تلك الأيام ، حين كان رزقي خمسة وثلاثين شلنكاً في الأسبوع ، كما أنا اليوم ... بعد أن اتسع رزقي كثيراً .

الايان بأن كل إنسان إنما هو الذي يصنع دنياه الخاصة ؛ بنض النظر عن موارد رزقه . كما كنت ولم أزل شديد الايمان بأن السعادة إنما هي ذخيرة شخصية ، تصونها الطبيعة المرحية السامية أكثر مما تصونها الاعتبارات الاقتصادية ؛ وهذه الطبيعة المرحية هي التي جلوتها في شخص بطل « القلب السعيد » فلقد شرق في الأرض وغرب في غير كبير اهتمام وفي غير ما صراع أو جهاد ؛ ولكنه كان يتعقب الحب الذي يجده القاري في آخر القصة ، ومثل الأعلى لم يكن بعدد الزواج السعيد ، وبين الأسرة ، والأطفال ، في قناعة بالقليل ورضى بالواقع !

وحدث في عام ١٩٠٨ أن المتر « فيشر آتون » الناشر المروف ، أعلن مسابقة قصصية عامة ، أرسد للفائز الأول فيها جائزة قدرها مائة كاملة من الجنيهات . وكان هذا التقدر من المألوف خليقاً أن يسيل له لعاب مثلي ... ولذلك أجهزت كتابة قصتي « القلب السعيد » وتقدمت بها بين المتسابقين . وأعقت ذلك نتيجة محتومة مرهقة ، ولقد كان يرضيني أن أكون طاشر الفائزين إلا أنني لم أربح ... وكانت صدمة لي ، ولكنها لم تكن شديدة الفسوة ، وبعد ذلك أتيج لي حظ نادر ...

كنت — كما قدمت — أمهل في ذلك الحين ببعض مكاتب النشر: أقرأ « البروفات » وأحرر بعض الرسائل ، وكان رئيسي في ذلك العمل رجل اسمه « فيليب لي وارتر » كان يعمل معي قبل ذلك في مكان آخر ، وكان قد قرأ لي من قبل قصتي القصيرة « الطريق الحق » . وقد اتفق أن سألتني بمد فشلي في المسابقة ماذا أكتب ، فلما رويت له خبر المسابقة ودخولي بالقصة الأخيرة وفشلي ، طلب أن أطلع على تلك القصة ، فأجبت رغبته . وبعد أن قرأها دفع بها إلى ثلاثة من أصدقائه الذين يمتد برأيهم . وإلى أقرر هذا حتى لا يتروم بعض البعدين عن محيط النشر أن فيه سبيلاً إلى التحايل ... وبعد أن أتى الرجل آراء أصدقائه هؤلاء طلب إلى إحداث بعض التحوير في القصة ، واعدأ بنشرها بعد ذلك . ومن عجائب المصادفات أنه كاشفني بذلك في نفس اليوم الذي كنت أحسب فيه عيد ميلادي الرابع والعشرين !

\*\*\*

ونفدت سبعمائة نسخة من الكتاب في موسمه الاول ولم يكن هذا أمراً مرضياً تماماً. ولكنه لم يكن في تلك الأيام نتيجة سيئة. فقد بلغ نصيب الناشر من ثمن هذه النسخ ثلاثين جنبها. بينما أخرج «أرنولد بينت» كتابه الأول فلم يكسب أكثر من جنيه واحد بعد أجر من وثق نه بوله على «الآلة الكاتبة» واستأنفت الكتابة بعد ذلك، لأن الناشر تاق تشجيعاً كافياً لأن يتفق معي على نشر قصة أخرى. وهذه أيضاً حقيقة لها حظ من الأهمية. فان القصة الأولى للكاتب إن لم تكن أكثر من محاولة غير ناجحة، فان قصته الثانية خليفة أن تكون بداية طيبة لاحترافه هذا الفن.

وأنا الآن لا أكتب قصصى بالسهولة التي كنت أكتب بها منذ ثلاثين سنة. والواقع أن الانسان كلما تقدمت به السن تزايد شعوره بصعوبة التمشي مع كل الأساليب وشعوره بتضاؤل استقلاله وحقوقه ككؤلف. ولكن، حيناً كنت أكتب قصتي «موسم الفكاهة»، وأنا ابن ثلاث وخمسين سنة كنت أحس بذلك للنشاط الذي كان لي حين كنت أكتب «القلب السعيد» قبل ذلك بثلاثين عاماً كاملة.

وحيث شرعت في كتابة هذا المقال لم أكن قد تصفحت كتابي الأول منذ ظهوره، ولكني وجدته مضطراً إلى ذلك حين همت بتدوين هذا الفصل، لأن اكتشاف ذلك الموضوع الذي دارت عليه فصول كتابي الأول الذي أشعر بأني مدين له، إذ مهد لي السبيل إلى فن من الحياة لقيت فيه ألواناً من السعادة.

فرانك سرينان

تحدث كل الأصدقاء بحسن حظي، وكانوا جميعاً يشكون في نجاح قصة أنا كاتبها. وقد جاء نجاحها مناجاً عن كفايتي، وانما أنه كان لي على الدوام أصدقاء يقفون في صفى لمواجهة ما يكتنفي من أخطار الضرور في النفس، ولم أكن أغضب لهذا أبداً. بل على العكس من ذلك، كنت دائماً أعترف بما كانوا يصفرونني به من صفو المودة.

ولم يكن للكتاب «القصة» عملاً جيداً تماماً. فلقد كان مكتوباً في سرعة فائقة وفي قلة اكتراث. وكان بذلك أبعد ما يكون من صفات العمل الأدبي الجدي، وأبعد ما يكون من الجدارة بالكتابة عنه، أو مديحه، ولكنه على أى حال كانت تميزه ظاهراً أن يبني أن يعنى بهما كل شاب يريد أن يكتب قصة؛ فقد كانت فيه جدة أصيلة ملحوظة، فضلاً عن اندماج المؤلف في الشخصيات التي خلق منها أبطال قصته.

وبعد ظهور الكتاب، بهرتني ما استقبلته به الصحف التي تحفل بقن للقصة، والحق أنها كانت رفيعة به كريمة عليه. فقد امتدحته كأنما يتفرد كاتبه بمقريه من طراز خاص، وقارنته بأعمال «ديكنز» الخالد، وأسرفت في التنويه بما فيه من أصالة وطرافة. بل لقد بلغ من كرم محرر «المانشستر جارديان» أنه قال «... لقد بدأ المستر فرانك سوينرتن - أنا - أعماله الأدبية بأحدى الروائع. فقد جعل أبطال قصته في ارتباط وثيق، كما أفاض عليهم حيوية ملحوظة؛ وكل ما في كتابه يعتبر هدية ممتازة إلى الفن القصصى من الشخصيات، والطبيعة، والحوار. وليس بعد ذلك من شيء يجعل القصة جذيرة بالشر، خليفة بالاقبال»

وهو نسان بحث عن السيد الشاب. أما العشر على هذا السر الطبيعى فلم يكتف الا بمرئى ابراهيم علم العلاج بالهرمونات الذى برع فيه وملك قياه. بدين منافع. العادة الأستاذ الأكرام منس لمير شغلد. فقد قدم جنانى لى الأونسان في لولوتيس من السيد الطبيعى الرومى لفظ نوى لى الأونسان من أراض الشينوزة المبكرة. ابسك حديدية في حالات. سرعة القذف. يجب استعمال نوى تيطس نزه ٣. ولزجل معرزة كل ما يتخص بالأمور التناسلية يجب طالق الكتاب. الحياة البرية الذى يرسل اليك نظيرك لى الأونسان من أراض الشينوزة المبكرة. برسوم ذات ٥ أنران ٣٣ للنسخة العربية. أرسل البليغ طرايع بريالى جلالهم بورمان ص ٢١٠ بصر

